ميخائيل انجلو

تتوالى القرون وتكرُّ العصور ويصبُّ نهر الحياة في بحار الابدية ملايين من النفوس لا يُحفَظ من اسمائهم الاَّ عدد قليل يعدُّ على الاصابع الواحد منهم بمقام الف بل بمقام الوف . هؤلاء مشاهير الزمان الذين اشرنا اليهم في الجزء الثالث من اجزاء هذا السنة . وكنَّا نودُّ ان نذكر ترجماتهم واحدًا واحدًا من اولهم الى آخرهم لو وسعنا المقتطف

وقد كنَّا نطالع الآن وصفًا بديعًا للتاج جمل بناءً في بلاد الهند ادَّعاهُ الاوربيون واثبت الواصف ان بانيهُ من اهالي الهند انفسهم ولكن من هو وما هو اسمهُ ومن تعلَّم صناعتهُ ومن ترجمهُ من الكتَّاب — كل ذلك طوتهُ الايام ويحتمل ان صاحب التاج جازاهُ كما جوزي سنمار في قصر العرب رماهُ من اعلاهُ حتى لا يبني بناءً آخر مثلهُ

وقس عليهِ كثيرين غيرهُ من الذين انشأُوا حضارة العرب حقيقةً وكان لهم اليد الطولى في البناء والنقش والفلاحة والصناعة والتجارة فان اسماءهم نسيت او لم تذكر في كتب الوفيات الاَّ عَرَضًا وانما ذكرت فيها اسماء الامراء والشعراء والفقهاء كأن حضارة الامم تقوم بما يتزونهُ من البلدان وينظمونهُ من الشعر ويؤلفونهُ من كتب التفسير ولا شأن لمن يستثمر خيرات الارض ويجرُّ اليها المغانم وينشئُ فيها المعالم

خطرت لنا هذه الخواطر ونحن نقرأُ تلك المقالة ثم التفتنا الى اسماء المشاهير عند الاوربيين فوجدنا انهُ من الف رجل فاقوا غيرهم في الشهرة على ما يستدل من الاعتناء بترجماتهم كان اسم ميخائيل انجلو النقَّاش الايطالي الثلاثين اي ان الذين فاقوهُ في اعتبار الاوربيين ٢٩ نفساً من اشهر المشاهير والذين فاقهم تسع مئة وسبعون نفساً . فهو في المئة الاولى من الالف وفي الثلث الاول من المئة الاولى لا يفوقهُ الاَّ ٢٩ رجلاً من اشهر القواد والشعراء والفلاسفة مثل نبوليون ويوليوس قيصر والاسكندر المكدوني وشكسبير وهوميروس وملتون وباكون وارسطوطاليس واسحق نيوتن وقد قُدِّم على سقراط وكنت وليبنتز وكرومول ولويس فيليب وفردرك الكبير ولورد بيرُن ودانتي وترجيل . فرأينا ان نثبت ترجمتهُ في هذا الجزء ونبحث عن باقي التاج في الجزء التالي

ولد ميخائيل انجلو سنة ١٤٧٥ وابوهُ من اهالي فلورنسا ومن وجهائها وكانت لهُ ثروة طائلة فقدها كلها ولكنهُ بقي محتفظاً بشرف نسبهِ فلما ظهر من ولدهِ الميل الى الرسم والنقش نهاهُ عنهُ حاسباً انهُ لا يليق بمقام اسرتهِ وكان يقول انهُ قد خسر امواله كلها ولم يعد في طاقتهِ ان يعيش مثل اقرانهِ لكنهُ يفتخر بانهُ لم يتدانَ الى الاكتساب بالتجارة او بالصناعة . وليس من الانصاف تشديد الملام عليهِ اذ كان اهل زمانهِ يقولون قولهُ ويعتقدون اعتقادهُ لكن رغبة الولد كانت شديدة فلم يستطع ابوهُ ان يصرفهُ عن عزمهِ . وكان يقول بعد ذلك انهُ رضع هذا الميل مع اللبن لان اباهُ كان قد سلمهُ الى امرأة زوجها نخَّات لكي ترضعهُ وتربيهُ فكان يرى اعمال زوجها في طفوليتهِ فأُشرب حب النقش مع اللبن . وبعد خصام شديد بينهُ وبين ابيهِ دخل صانعاً عند مصوِّر اسمهُ غرلندايو وعمرهُ ثلاث عشرة سنة فقط لكي يقيم عندهُ ثلاث سنوات . وكانت البلاد حولهُ مملوَّة بفاخر المصنوعات من الصور والتماثيل والمباني والنقوش فكانت رغبتهُ تزيد اتقاداً كلما وقع نظرهُ عليها . ودرس مبادئ التصوير اولاً لكن ميلهُ الاشد كان الى النقش وعمل التماثيل فلقي معيناً لهُ في شخص لورنزو دي مديتشي[1] ودخل مدرستهُ قبل ان

(١) المديتشي اصحاب فلورنسا وطسكانا كلها نشأوا في القرن الرابع عشر وكانوا تجاراً جمعوا ثروة وافرة

يتم السنوات الثلاث عند غرلندايو ويقال ان غرلندايو هو الذي اشار عليهِ بدخول المدرسة وتوسل الى لورنزو لكي يقبلهُ لما رأى من نباهتهِ واجتهادهِ وكان رئيس المدرسة من تلامذة دوناتلو النحَّات الايطالي الشهير فجعل يقابل المصنوعات الحديثة بالقديمة ويحضر مذاكرات مهرة النقاشين والنحاتين ورغبتهم في التوفيق بين مصنوعات الوثنيين وما تقتضيهِ الديانة المسيحيَّة فظهرت عليهِ نجابة في المباحث الفلسفيَّة كما ظهرت في الاعمال الصناعيَّة

ولم يتم ثلاث سنوات في تلك المدرسة حتى توفي صاحبها لورنزو وخلفهُ ابنهُ بيرو ورث منصب ابيهِ ولكنهُ لم يرث اخلاقهُ وهمتهُ ورأى ميخائيل انجلو ان الخطوب ستتدافع في عهد الولد فترك المدرسة وهرب الى بولونا وكان قد بلغ العشرين من العمر وصنع فيها ثلاثة تماثيل لكنيستها ثم دعي الى فلورنسا لعمل بعض التماثيل فعاد اليها وكانت شهرتهُ قد ذاعت وصنع فيها تمثالاً لاله الحب آخذاً فيهِ مأخذ القدماء فاشار عليهِ بعضهم أن يطمرهُ في التراب حتى يصير كالتماثيل القديمة المنبوشة من الارض ليرى كيف يقبل الناس عليهِ ففعل ذلك عازماً ان لا يزيد ثمنهُ لكي لا يكون فعلهُ من قبيل الخديعة بل من قبيل التسلية فاشتراهُ الكردينال سان جورجيو حاسباً اياهُ من مصنوعات القدماء ودفع ثمناً كبيراً للتاجر الذي باعهُ اياهُ . واكتشف الكردينال ذلك حالاً فاستردَّ مالهُ من التاجر وأخبر ميخائيل انجلو انهُ اذا جاء رومية وجد فيها رواجاً كبيراً لمصنوعاتهِ فاسرع اليها واقام فيها بضع سنوات ولكنهُ لم يجد اولاً الرواج الذي انتظرهُ . وكان الاضطراب السياسي سائداً على رومية حينئذٍ فاقام فيها خمس سنوات مكرهاً وكان يعمل بجد واجتهاد لان اباهُ صار يعتمد عليهِ في معيشتهِ ولو بقي حاسباً تعاطيهُ صناعة التصوير وعمل التماثيل مما يحط من قدرهِ . ولم يوافقهُ ميخائيل على هذا الرأي ولكنهُ كان حريصاً على اسم عائلتهِ متفانياً في خدمتها حتى انهُ كان يتحمل ما لا يتحملهُ طبعهُ من المشاق وشظف العيش لكي يكتسب ما يقوم بنفقات بيت ابيهِ . والقى ابوهُ اعتمادهُ عليهِ فكان يتناول كل درهم يكتسبهُ وينفقهُ في بيتهِ كأن ابنهُ عبد مخلوق لخدمتهِ

وشرع بعد قليل في عمل تمثال داود المعروف بالجبَّار صنعهُ من قطعة كبيرة من الرخام كان غيرهُ قد شرع في نحت تمثال آخر فيها منذ اربعين سنة فغيَّر شكل التمثال وصنع منها تمثال شاب عابس واحكم صنعهُ فجاء منطبقاً على القواعد العليَّة والفنيَّة حتى دُهش منهُ كل مَن رآهُ . وجُمع كل ارباب الفن في فلورنسا ليختاروا لهُ مكاناً مناسباً لهُ فوضعوهُ امام قصر

وجادوا بها في المصالح العامة فصاروا حكام البلاد . ولورنزو من اشهرهم وكان عادلاً حليماً منشطاً للعلوم والفنون وهو من الشعراء المعدودين انشأ المدارس الكثيرة واغدق خيراتهُ على العلماء والصناع والفلاسفة

الحكومة سنة ١٥٠٤ وبقي هناك الى سنة ١٨٧٣ فنقل الى دار مدرسة الفنون . ولم يقتصر على عمل التماثيل بل اشتغل بالتصوير ايضاً وصوَّر بعض الصور الشهيرة . ولكن لم يطل عليهِ الوقت حتى دُعي الى رومية دعاهُ البابا يوليوس الثاني ومن ثم ابتدأ عصر جديد في اعمالهِ الفنيَّة

لما وصل رومية طلب منهُ البابا ان يصنع لهُ ضريحاً يكون منقطع النظير فصنع رسم الضريح واختار لهُ الرخام من مقالع كرارا وشرع في عملهِ ولكن حدث ما شغل بال البابا عن اتمام العمل ولم تعد النفقات تدفع الى ميخائيل وخشي من كيد مناظريهِ فهرب من رومية وعاد الى فلورنسا لكن البابا تغلَّب على خصومهِ وعاد فاستدعاهُ ورحَّب بهِ وامرهُ ان يصنع لهُ تمثالاً كبيرًا من النحاس لينصبهُ في بولونا فاقام خمسة عشر شهرًا على عمل هذا التمثال ونصبهُ في اوائل سنة ١٥٠٨ وهو يمثل البابا جالساً بحلتهِ والتاج على رأسهِ لكن اهالي بولونا ثاروا بعد ثلاث سنوات ورموا التمثال وكسَّروهُ

واستدعاهُ البابا الى رومية وانتدبهُ لتزيين سقف كنيسة سكستوس بالصور ولم يكن ميَّالاً الى التصوير ميلهُ الى عمل التماثيل فتذمَّر من ذلك اولاً لكنهُ تغلَّب على طبعهِ وصوَّر الصور المطلوبة فجاءت خير ما قامت بهِ شهرتهُ وكانت حياتهُ جهادًا مستمرًّا بين امياله الطبيعيَّة والعوائق الكثيرة المحيقة بهِ وهو بين هذه وتلك مستمرٌّ الدأب لا يكلُّ ولا يملُّ . ولم يتم تلك الصور الاَّ سنة ١٥١٢ فجاءت آية من آيات التصوير . ثم عاد الى اتمام ضريح البابا وتوفي البابا بعد اربعة اشهر وطلب وارثهُ ان يصغِّر الضريح عمَّا رسمهُ اولاً فصغَّرهُ لكنهُ بقي عظيماً فخيماً ولا يعلم كم كان قبل ذلك

ونُصب البابا ليون العاشر فارسل ميخائيل انجلو الى فلورنسا لكي يبني واجهة كنيسة فيها ويزينها بالتماثيل

ومرَّت السنون وهو يعمل اعمالاً لا يميل اليها الى ان صوَّر صورة الدينونة واتمها وعرضها سنة ١٥٤١ فجاءت آية في فن التصوير وعين في السنة الثانية مهندساً لكنيسة مار بطرس فاقام في تجديدها وتزيينها الى ان وافتهُ منيتهُ سنة ١٥٦٤

وهو اشهر رجل بين رجال النهضة الايطالية فقد كان من امهر المصورين والنقاشين وكان ايضاً شاعرًا وبنَّاء وعالمًا بالهندسة الحربيَّة . ولهُ ايطاليا بل اوربا كلها مديونة في اتقان فني التصوير وعمل التماثيل كما انهُ هو مديون لما رآهُ فيها من آثار الاقدمين